دور الشعر العربي في ترسيخ القيم الأخلاقية والإيمانية عبر العصور

The role of Arabic poetry in establishing moral and faith-based values across the ages=

Dr Yasmin Akhtar
Assistant professor Department of Arabic International Islamic University Islamabad -1
Email: yasmin.Akhtar@iiu.edu.pk

Dr.Abubakar Bhutta
Assistant profssor Arabic Department NUML Islamabad.
Email:mabhutta@numl.edu.pk

Abstract:
This research presents a comprehensive analytical study of the role of Arabic poetry in instilling ethical and faith-based values throughout various historical eras—beginning with the pre-Islamic period, passing through the Islamic era, and extending to the Abbasid and Andalusian periods, up to Sufi and contemporary poetry. The study is based on the hypothesis that Arabic poetry has never been merely a form of aesthetic indulgence, but rather a consistent voice for values, a platform for virtues, and a means for spiritual refinement and the cultivation of collective conscience.
The research adopts a critical and analytical methodology, drawing upon selected poetic models from each period, coupled with linguistic, rhetorical, and philosophical analysis. It links poetic texts to the religious, cultural, and social contexts in which they emerged. The study highlights how poets—from Zuhayr, Antarah, and Tarafa, through Hassan ibn Thabit and Ka'b ibn Zuhayr, to Ibn al-Farid, Rumi, and Ahmad Shawqi—employed poetic expression to build moral foundations and affirm concepts such as patience, generosity, truthfulness, humility, and love of God and His Messenger.
Additionally, the study explores the artistic techniques that enhanced the educational impact of poetry, such as ethical imagery, Sufi symbolism, musical rhythm, and oral recitation, showcasing poetry's dual capacity to address both the intellect and the emotions.
The research concludes that Arabic poetry serves as an ethical and spiritual document, where message and beauty are harmoniously integrated, and remains—despite contemporary challenges—a powerful contributor to the moral and cultural advancement of the Muslim community.

Keywords:
Arabic poetry, ethical values, faith, moral education, Sufi poetry, Islamic poetry, literary analysis, cultural heritage.

إن الـ شعر العربي مرآة صافية لـ ضمير الأمة، لا يكتفي بـ تصوير أحوالها، بل يوجّهها ويغذيها بالقيم. فالكلمة في التراث العربي لم تكن محض و سيلة للزينة أو الترف، بل كانت " سلاحًا" في وجه الجهل والظلم، و"مصباحًا" في درب الفضيلة والإيمان. ومنذ العصر الجاهلي، حمل الشعراء

لواء الأخلاق، حتى أ صبح ال شعر العربي خزانة حافلة بالمبادئ التي شكّلت الوعي الجمعي للأمة.

منهجية البحث: يعتمد هذا البحث منهجًا تحليليًا-نقدياً، قائمًا على قراءة الن صوص ال شعرية في ضوء سياقاتها الثقافية والدينية والاجتماعية. وقد تم انتقاء نماذج من الشعراء الأكثر تأثيرًا في غرس القيم، مع تحليل بلاغي وفكري لمضامينهم، واستحضار الأسس القرآنية والحديثية المؤصلة لهذه القيم.

المحور الأول: القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي، رغم طبيعته القَبَلية، كان مشبعًا بقيم كالصدق، الكرم، الوفاء، وحماية العرض.

يقول زهير بن أبي سلمى في معلقته يشيد بالصلح ونبذ الحرب:

ومن لا يَذُدْ عن حَوْضِهِ بسِلاحِهِ يُهَدَّمْ، ومَنْ لا يَظلِمِ الناسَ يُظلَمِ

في هذا البيت دعوة صريحة لحماية الكرامة بلا ظلم ، ويؤكد زهير بن أبي سلمى على أهمية الدفاع عن الكرامة والحقوق. ويستخدم الشاعر أسلوب الشرط ("ومن لا يذد") لبيان أن من لا يدافع عن نف سه يُهدَم، أي يُذل ويُهان. البيت يعكس قيمة ال شجاعة والكرامة في المجتمع الجاهلي، حيث كان الدفاع عن النفس والعرض من أسمى القيم.

قال عنترة بن شداد عن الفروسية المرتبطة بالشرف، لا بالعنف:

وأغضّ طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها"

يعبر الشاعر في هذا البيت عن قيمة التعفف واحترام الجار. يستخدم الشاعر أ سلوب الشرط الزمني ("إن بدت لي جارتي") لبيان أنه يغض الب صر احترامًا لها حتى تدخل بيتها. البيت يعكس قيم الفرو سية والكرامة، حيث يُظهر الشاعر نفسه كفارس نبيل يحترم الجار ويتعفف عن النظر إلى النساء.

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

يُعبرّ لَبيد بن ربيعة في هذا البيت عن رؤية فل سفية عميقة، حيث يُبرز فناء الدنيا وزوال متعها، ؤكدًا أن البقاء لله وحده. يستخدم الشاعر أسلوب القصر في "ما خلا الله باطل"، مما يُضفي على المعنى قوة وحـ صرًا. كما أن التوازي في الـ شطرين يُعزز الإيقاع ويُبرز التناقض بين الفناء والبقاء.

فإنك كالليلِ الذي هو مدركي وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسعُ

في هذا البيت، يعتذر النابغة الذبياني للملك النعمان، م شبّهًا إياه بالليل الذي لا مفر منه، مما يُبرز حتمية اللقاء وعدم جدوى الهروب. يستخدم الـ شاعر التـ شبيه البليغ، حيث يُقارن الملك بالليل، مما يُـ ضفي على الـ صورة قوة وجمالاً. كما أن التقديم والتأخير في "وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسعُ" يُبرز التناقض بين الظن والحقيقة.

يقول الحارث بن حلزة:

نحنُ أكرمُ من يُقيمُ بأرضٍ وأشدُّ بأسًا حين يُلقى الجمعُ

يُبرز الـ حارث بن حلزة في هذا البيت فخره بقو مه، ؤكدًا كرمهم و شجاعتهم في المعارك. يستخدم الشاعر أسلوب التفضيل في "أكرم" و"أشد"، مما يُضفي على المعنى تفوقًا وتميزًا. كما أن الجمع بين الكرم والبأس يُبرز التوازن بين الصفات الحميدة.

يقول عَدّي بن زيد العبادي:

إذا أنت لم تنفع فضرّ فإنما يُرجّى الفتى كيما يُضرّ وينفعُ

يُبرز عَدّي بن زيد في هذا البيت أهمية الفعل وتأثير الإن سان في مجتمعه، ؤكدًا أن القيمة تُقاس بالنفع والضرر. يستخدم الشاعر أسلوب الشرط في "إذا أنت لم تنفع"، مما يُضفي على المعنى تحديدًا ووضوحًا. كما أن التوازن في الشطرين يُعزز الإيقاع ويُبرز التناقض بين النفع والضرر.

يقول الشنفرى:

أقيموا بني أمي صدورَ مطيّكم فإني إلى قومٍ سواكم لأميلُ

يُعبرّ الشاعر في هذا البيت عن رفضه لذلّ قومه، مؤكدًا رغبته في الانتماء إلى قومٍ يقدّرون الكرامة. يستخدم الشاعر أسلوب الأمر في "أقيموا"، مما يُضفي على المعنى حزمًا وصرامة. كما أن التقديم والتأخير في "إلى قومٍ سواكم لأميلُ" يُبرز التفضيل والانحياز.

المحور الثاني: الشعر الإسلامي – الكلمة رسالة

في فجر النور الإلهي، ومع إشراقة الإسلام على الجزيرة العربية، انقلب وجه الشعر العربي من معالج الفخر القبلي، وملاعب العصبية والأنانية، إلى منابر تهتف بالحق، وتبشّر بالفضيلة، وتدعو إلى مكارم الأخلاق. لقد لبست الكلمة الشعرية في صدر الإسلام حُلّة الرسالة، وأضحت صوت الضمير الإيماني، تُهذّب النفوس، وتطهر القلوب، وتُشيّد بنيان الإنسان في ضوء الهداية الربانية.

وفي هذا السياق، نتقدّم بدراسة تحليلية نقدية لأبرز النماذج الشعرية التي عبرّت عن هذا التحوّل العميق في جوهر الشعر ووظيفته، مُبيّنة كيف أصبح وسيلةً فاعلة في الإصلاح، ومجالاً خصبًا لترسيخ القيم الإنسانية العليا كالصدق، والعدل، والصبر، والتسامح، ومحبة الله ورسوله. لم يعد الشعر مجرّد ترفٍ فني أو متعة لغوية، بل صار جسرًا بين الجمال والحق، ومِشكاةً تُضيء درب الأمة في مسيرتها الأخلاقية والروحية.

وكان حسان بن ثابت مدّاح النبي وداعية أخلاق الإسلام، يقول:

وأحسن منك لم ترَ قطُّ عيني. وأجملَ منك لم تلد النساءُ

خُلِقتَ مبرّأً من كلّ عيبٍ كأنّك قد خُلِقتَ كما تشاءُ

يُعبرّ حسان بن ثابت عن محبّته العميقة للنبي ﷺ، مُبرزًا كمال خَلقه وخُلقه. استخدم الشاعر أسلوب التشبيه البليغ في "كأنّك قد خُلِقتَ كما تشاءُ"، مما يُضفي على المعنى قوة وجمالاً. كما أن التوازي في الشطرين يُعزز الإيقاع ويُبرز التناقض بين الفناء والبقاء.

وكعب بن زهير في قصيدته "بانت سعاد"، تبرز توبته وشهادة صدقه مع النبي، وفيها:

"إن الرسول لنورٌ يُستضاءُ به مُهنّدٌ من سيوفِ الله مسلولُ

يُظهر كعب بن زهير في هذا البيت توبته ومدحه للنبي ﷺ، مستخدمًا التشبيه في "مُهنّدٌ من سيوفِ الله"، مما يدل على قوة النبي في الحق والعدل. كما أن استخدام "نورٌ يُستضاءُ به" يُبرز دور النبي كمنارة هداية.

يقول شاعر الإسلام عبد الله بن رواحة:

وفينا رسولُ اللهِ يتلو كتابَه إذا انشقّ معروفٌ من الفجرِ ساطعُ

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبُنا به موقناتٌ أن ما قال واقعُ

يُبرز الشاعر دور النبي ﷺ في هداية الأمة، مستخدمًا صورًا بلاغية مثل "إذا انشقّ معروفٌ من الفجرِ ساطعُ"، للدلالة على النور والهداية. كما أن التوازي في الشطرين يُعزز الإيقاع ويُبرز التناقض بين العمى والهدى.

لقد تابَ اللهُ على النبيّ والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة

يعكس هذا البيت توبة كعب بن مالك واعترافه بالذنب، مما يدل على صدقه وإيمانه العميق. استخدم الشاعر أسلوب السرد القرآني، مما يُضفي على المعنى قدسية وجلالاً.

تقول الشاعر الخنساء:

يذكّرني طلوعُ الشمسِ صخرًا وأذكرُه لكلّ غروبِ شمسِ

تُعبّر الشاعرة عن حزنها العميق على أخيها صخر، مستخدمةً تكرار الشمس كرمز للحياة والذكريات، مما يُبرز صدق العاطفة وعمق الألم. كما أن التكرار في "طلوع الشمس" و"غروب الشمس" يُضفي على المعنى استمرارية ودوامًا.

ويقول الشاعر العباس بن مرداس:

أنتَ النبيُّ محمدٌ خيرُ الورى نسبًا ودينًا

يمدح العباس النبي ﷺ، مُبرزًا مكانته العالية في النسب والدين، مما يدل على اعترافه بفضل النبي ومكانته. استخدم الشاعر أسلوب التفضيل في "خيرُ الورى"، مما يُضفي على المعنى تفوقًا وتميزًا.

من خلال هذه النماذج، يتضح أن الشعر الإسلامي كان وسيلة فعّالة لغرس القيم الأخلاقية في المجتمع، حيث استخدم الشعراء أساليب بلاغية متنوعة لتأكيد هذه القيم وتعزيزها.

المحور الثالث: الشعر الصوفي – المقام الرفيع للكلمة

تقدم النماذج الشعرية الصوفية مع ذكر كيفية ارتقت الكلمة في هذا اللون من الشعر إلى مقام الرسالة الأخلاقية والروحية،وكيف سخّر الصوفيون الصورة البلاغية والمجاز والتكرار والرمز لتثبيت قيم الإسلام في النفوس. والشعر الصوفي دمج العاطفة الروحية بجمال التعبير، وجعل القيم الإيمانية محور التجربة.

وابن الفارض في تائيته الكبرى، يمزج بين الحب الإلهي والصدق الروحي:

"ولولاك لم يُخلق وجودٌ وإن يكن مجازًا، فمنك البدء والمعرفة

يؤسس ابن الفارض في هذا البيت لفكرة أن كل ما في الوجود متصل بالمحبة الإلهية، والتي هي أصل الوجود ومعناه، وهو تأكيد لمركزية التوحيد والمحبة كقيمة أساسية في الإسلام.

واستخدم المجاز العقلي والتضاد بين "الوجود" و"العدم"، و شكّك بذاته في العبارة ("وإن يكن مجازًا")، مما يدل على تواضع روحي وتحقيق فلسفي رفيع، وهو نمط من البلاغة الروحية التي تقوم على تأمل الذات في مقام الفناء والبقاء.

والمقصود بـ "لولاك" غالبًا هو الحبيب الإلهي، أو بتأويل صوفي قد يكون المقصود به الحقيقة المحمدية، مما يشير إلى تداخل المعاني الإسلامية الكبرى في النظم الصوفي.

وجلال الدين الرومي يدعو للوحدة والمحبة، متجاوزًا حدود الطوائف والظاهر:

تعالَ، تعالَ، لا يهم من أنت فإنك بيت المحبة

تجسّد هذه الأبيات قيمة التسامح والانفتاح في الإسلام، وهي مستمدة من قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾

واستخدام التكرار في "تعالَ" فيه إيقاع روحي يكرّس التلقين الصوفي والنداء الإلهي العام. أما التعبير "بيت المحبة" فهو استعارة مركبة تجعل من الإنسان موطنًا لصفات الله الجميلة، كالمحبة والرحمة.

وهذا البيت يُنهي الفوارق بين البشر في الدين والهوية، ويضع معيارًا جديدًا وهو النية والمحبّة، وهي قيمة روحية تفتح الإسلام على الآخر من منطلق الرحمة لا الخصومة.

"أحبك حبّين: حبّ الهوى وحبًّا لأنك أهلٌ لذاكا

تُبرز رابعة قيم الإخلاص، والتوحيد في المحبة، فحبّها لله لا لرجاء الجنة ولا خوفًا من النار، بل لأنه مستحق للحب. وهذا هو جوهر الإيمان الحق كما صوّره السلف.

ويُلاحظ استخدام التقسيم البياني الذي يظهر في "حبّين"، مما يعطي للمعنى تفصيلاً بلاغيًا دقيقًا. كما أن اللفظ "أهلٌ لذاكا" يُعبّر عن إدراك جليل لمقام الله جل وعلا.

والبيت فيه تجرد روحي وسموّ عن كل مصلحة، مما يجعل من الكلمة الصوفية وسيلة تربية على صدق العلاقة بالله.

يقول فريد الدين العطار :

طِرْ بقلبك في فضاء العشق حتى تصل إلى مقام الفناء

العطار يُشير إلى مفهوم "الفناء في الله"، وهو مرتبط بنقاء التوحيد والخلاص من النفس والهوى، وهي مفاهيم صوفية لها أصل في الزهد الإسلامي.

وأسلوب الأمر "طِرْ" يُحيل على الرحلة الروحية. والتعبير "فضاء العشق" يستعير من الفلك والسفر صورة رمزية للترقّي في المقامات.

وهذه الأبيات ترشد السالك إلى تطهير القلب والتحليق به إلى مقام القرب، مما يجعل الشعر وسيلة تهذيب للنفس والسلوك.

يعبر الحلاج عن حب الله:

أنا من أهوى، ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

هذا القول صوفيّ عميق يرمي إلى الفناء الكلي في المحبة، بحيث يُصبح المحبّ لا يرى إلا الله، وهو تعبير عن قيمة التوحيد الوجودي.

وفيه تكرار وتوازي يعطي وحدةً إيقاعية، لكن أيضًا انزياحًا دلاليًا عن التعبير المألوف، مما يفتح الباب لتأويلات روحية شديدة العمق.

وهذا الشعر – رغم ما فيه من رمزية – يعكس جرأة التعبير الصوفي في تصوير الحقيقة الإلهية، ويُظهر الشعر العربي كأداة تعبير عن أشد التجارب الروحية كثافةً.

يتضح من خلال هذه النماذج أن الشعر الصوفي – في مضمونه وموسيقاه وصوره – لم يكن مجرد تعبير وجداني، بل كان أداة تأمل ودعوة وتربية روحية. لقد ارتقت الكلمة الشعرية إلى مستوى المقام الرسالي، فحملت معاني المحبة الإلهية، والإخلاص، والفناء، والتسامح، والتوحيد، والتجرد من الذات،وكلها قيم إسلامية محورية.

المحور الرابع: الشعر النهضوي – التربية والهوية

في العصر الحديث، واجه الشعر العربي تحديات العولمة، والصراع الثقافي، والانحراف الجمالي، لكنه ظلّ - في بعض مدارسه - يحمل همّ الرسالة الأخلاقية والروحية، ويستدعي ثنائية الجمال والحق، في مواجهة الانحلال والانفصال القيمي.وأعاد الشعراء صياغة القيم في ضوء تحديات الاستعمار والانحطاط.

يقول الشاعر أحمد شوقي:

وإذا رحمتَ فأنتَ أمٌّ أو أبٌ هذانِ في الدنيا همُ الرحماءُ

يُقدّم شوقي صورة أخلاقية للنبي محمد ﷺ على أنه مصدر الرحمة الأبوية/الأمومية، وهي تمثيل أدبي عميق لقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾.

والصورة تشبيه تمثيلي مركّب يربط الأخلاق بالرحم البيولوجي، ويعيد تكوين المعنى في قالب شعري حنون، يحيل إلى الرحمة كقيمة محورية في الإسلام.

والبيت يصلح أن يكون منهجًا تربوياً للأطفال والراشدين معًا، لما فيه من تلخيص مكثّف لجوهر الرسالة النبوية.

يقول الشاعر عبد الوهاب البياتي:

وأحملُ في داخلي شمسَ أُمّي وسيفَ الحسينِ ومصحفَ جدّي

يُشير إلى قيم النور والمعرفة (الأم)، الثورة على الظلم (الحسين)، والهداية (القرآن)، في تجميع متكامل لقيم الإسلام الثورية والروحية.

و"شمس الأم" ا ستعارة تُحيل إلى الرحم والقيمة التكوينية، بينما " سيف الحـ سين" رمز للموقف الأخلاقي ضد الظلم.

والتراكم الرمزي هنا أداة لتثبيت هوية أخلاقية وروحية في زمن التشتت، وهو نمط شعري حديث يستلهم التراث في بناء القيم.

على هذه الأرض ما يستحق الحياة على هذه الأرض سيدةُ الأرض، أم البدايات

يؤ سس درويش لحبّ الأرض والوطن كقيمة أخلاقية وجودية، يعيد من خلالها قراءة الفداء والمعاناة في ضوء الكرامة.

وأ سلوب تكراري وإنشائي ("على هذه الأرض") يُكرّس الإ صرار على التقديس، وهو أ سلوب دعائي شعري يمزج بين الانفعال العقلي والوجداني.

ويدعو الـ شاعر إلى التم سك بالحياة رغم الظلم، وهي قيمة دينية تتقاطع مع مبادئ الـ صبر والجهاد المشروع.

يكشف الشعر العربي المعاصر ـ رغم تباين مدارسه ـ عن استمرار الرسالة القيمية، سواء عبر الإ سلام المبا شر (شوقي)، أو الرمزية المقاومة (درويش، البياتي). لقد بقيت الكلمة – رغم ما لحق بها من تشتت – طريقًا للحق، ونبضًا للقيم، ونداءً للتجدد الروحي والاجتماعي.

خاتمة:

لقد أظهر هذا البحث أن الشعر العربي ـ عبر عصوره الثلاثة: الجاهلي، والإسلامي، والصوفي، وصولاً إلى المعاصر ـ ظلّ حاملاً فاعلاً للقيم الأخلاقية، يؤسس للضمير، ويُنير الوعي، ويحرس الهوية.

ففي الشعر الجاهلي، تجسّدت القيم في صور الفروسية، والوفاء، والمروءة، والصدق، وإن خالطها فخر قبلي، إلا أنها أرسَت مفاهيم الكرامة والذود عن العرض.

ثم جاء الشعر الإسلامي، فهذّب الغاية، ووجه البيان ليكون في خدمة الرسالة المحمدية، فتجلّت القيم القرآنية في المديح النبوي، والدعوة، والذب عن العقيدة.

وفي الـ شعر الـ صوفي، ارتفعت الكلمة إلى مقام التجلي، فغدت رمزًا للعـ شق الإلهي، والتطهر الروحي، ودعوة للزهد، وأداة للوصال مع المطلق.

أما في الشعر العربي المعاصر، فقد عادت الكلمة لتواجه أزمات العصر، بين الضياع والانبعاث، لكنها ظلّت، في أبرز نماذجها، منبرًا للحرية، وقبسًا للعدل، ومحراباً للكرامة الإنسانية.

وهكذا فإن الكلمة ـ حين تخلص للحق ـ تتحول من مجرد صوت جمالي إلى رسالة أخلاقية، وموقف وجودي.

والـ شعر العربي، من جاهليته إلى حداثته، لم يفقد صلته بالقيم. بل ظلّ يُربيّ، يُهذّب، ويحُرّك الضمائر. وما أحوج أمتنا اليوم إلى استعادة هذا الشعر كوسيلة لبناء الوعي، وتحصين الأجيال بالقيم الأخلاقية والإيمانية.